الآيات والبراهين على صدق نبوة خاتم المرسلين

بقلم : د. ناجي محمد داود سلامة*

الاستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية كلية التربية / جامعة الملك سعود

المقدمة :

شاء الله ـ عز وجل ـ أن يختم الأنبياء بمحمد ﷺ ـ وأن يختم الرسالات برسالته. لذا كان من أبرز سمات هذه الرسالة أنها عامة للخلق جميعاً، وصاحبها رسول للثقلين من إنس وجن. وهذا يعني أن الله تعالى أقام الحجة بهذه الرسالة على كل من سمع ويسمع بها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لذا يرى المتأمل أنّ هذه الرسالة قد أيدت بمؤيدات وبراهين تجعل الناظر في هذه الآيات والبراهين ـ كلها أو بعضها ـ يذعن ويقرّ بأنّ صاحب هذه الرسالة رسول من عند الله حقاً وصدقاً وأنّ دوره فيها دور النذير المبلّغ عن ربه.

---

* ولد في القدس عام ١٩٥٤م، وحصل على الشهادة الجامعية من كلية الشريعة الأردنية، كما حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه من كلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

ولما كانت هذه الآيات والبراهين قد فصّل القول فيها بعض علمائنا السابقين ـــ رحمهم الله تعالى ـــ في مصنفات لهم أفردوها لهذا الشأن؛ رأيت أن أكتب بحثاً أعرض فيه هذه الآيات والبراهين باختصار ـــ غير مخل ودونها إسهاب ـــ حتى لا تفتر همّة القارىء وهو يطالع موضوعاً من أهمّ موضوعات العقيدة الإسلامية، محيلا من أراد المزيد والتفصيل إلى أمهات الكتب التي بحثت تلك الآيات والبراهين بتوسع وإسهاب.

وإليك أهم الآيات والبراهين الدالة على صدقه ـ عليه الصلاة والسلام :

أولا : القرآن الكريم وبعض وجوه الإعجاز فيه.

ثانياً : خلقته وخلقه وجميل سيرته ـ ﷺ ـ تؤكد صدق نبوته.

ثالثاً : استجابة دعائه ﷺ.

رابعاً : المعجزات الحسية التي ظهرت على يديه ـ ﷺ ـ ونقلها أصحابه ـ رضي الله عنهم.

خامساً : إخباره ـ ﷺ ـ بمغيبات كثيرة ثم تحققت كما أخبر.

سادساً : الكرامات الكثيرة التي ظهرت على يد بعض أصحابه ـــ رضوان الله عليهم ـ وعلى يد غيرهم ممن صدق السير على نهجه وطريقه ﷺ.

سابعاً: بشارات الكتب السماوية به وبرسالته صلوات الله وسلامه عليه.

أولاً : القرآن الكريم وبعض وجوه الإعجاز فيه

يعتبر القرآن الكريم البرهان الأول على صدق نبوته ﷺ، حيث إنه المعجزه الكبرى الباقية إلى يوم الدين. فقد تحدى النبي ﷺ العرب ـ وهم أهل الفصاحة والبلاغة ـ أن يأتوا بمثله ويستعينوا بمن أرادوا، وإظهاراً لعجزهم أخبرهم بأنهم لن يستطيعوا ذلك. ثم تحداهم بعشر سور منه، ثم بسورة واحدة. وقد سجل سبحانه هذا التحدي في كتابه الكريم حيث قال : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا

ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [1] وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [2] وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾[3].

فلم يستطع العرب معارضة القرآن رغم هذا التحدي الذي قرع آذانهم ليل نهار بعبارات تستفز العزيمة، وتثير الحميّة، وقد كانوا حريصين على إبطال دعوى رسول الله ﷺ بأنّ هذا القرآن من عند الله، لتضمّنه ديناً يبطل دينهم، ولما فيه من تسفيه لعقولهم، وسخرية منهم ومما يعبدون. فكانوا في أمسّ الحاجة إلى الإتيان بمثل هذا القرآن كله أو بعضه ليدافعوا عن دينهم ودين آبائهم. لكنهم لم يفعلوا مع أنّ القرآن نزل بلغتهم، وألفاظه من ألفاظهم، وهم أهل البيان وفيهم ملوك الفصاحة وقادة البلاغة، أضف إلى ذلك أنهم كانوا أصحاب عقول ناضجة مجربة يشهد لذلك شعرهم ونثرهم.

ومع ذلك كله لم يؤثر عنهم أنّهم استجابوا للتحدي وعارضوا القرآن مع أنّه نزل في ثلاث وعشرين سنة وكان معهم من الوقت ما يكفي للمعارضة لو كان ذلك في إمكانهم.

لذا تراهم لما عجزوا عن المعارضة اتهموا من أتى به بالسحر والكهانة وقول الشعر والجنون، وآثروا بذل المهج والأرواح والأموال في الحروب على أن يأتوا بمثل هذا القرآن كله أو بعضه مما يثبت عجزهم وعدم مقدرتهم[4].

وعجز العرب عن المعارضة ما هو إلا عجز للعربية في عنفوان شبابها، وريعان

---

(١) الإسراء : آية ٨٨.

(٢) هود : آية ١٣ ـ ١٤.

(٣) يونس : آية ٣٨.

(٤) الباقلاني : إعجاز القرآن، ص ٢١، ٣٢، البيهقي : الاعتقاد، ص ٢٦٦، الهاروني : إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، ص ١٩ وما بعدها، خلاف : أصول الفقه ٢٥ ـ ٢٧، القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٥٩ وما بعدها.

قوتها، فعجزهـم ـــ وهم الفصحـاء البلغاء ـــ فيـه دلالة واضحـة على عجز مـن يأتي بعدهم[١].

وجوه إعجاز القرآن الكريم

ما من شك في أن وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة. وما من شك أيضاً أن العقول لم تصل حتـى الآن إلى حصر وجوه الإعجاز كلها، فكلما زاد التـدبر في آيات القرآن، وتقـدم الإنسان بعلـومه كـان ذلك مدعـاة لأن تظهر وجـوه للإعجـاز لم تكن معروفة من قبـل، وظهور الإعجاز العلمي خير دليل على هذا إذ لم تعـرف البشرية هذا الوجه من الإعجاز إلاّ في عصور متأخرة.

وإليك بعض وجوه الإعجاز في القرآن الكريم:

١ ـــ فصاحته وبلاغته وقوة تأثيره.

٢ ـــ إعجاز تشريعاته.

٣ ـــ انطباق آياته على ما جاء به العلم الحديث.

٤ ـــ تضمنه أخباراً غيبيّة لا يعرفها إلا علاّم الغيوب.

الوجه الأول: فصاحته وبلاغته وقوّة تأثيره:

تعرض القرآن الكـريم لموضوعات كثيرة متبـاينة، وعبر عنها بتعبيرات متنوعـة، ومع هذا تجد تناسقاً بـديعاً بين العبارات والألفاظ، فليس أسلوب هـذه الآية بليغاً والأخرى غير بليغ، وليس هذا اللفظ فصيحاً والآخر غير فصيـح. كما أنه ليس فيه لفظ ينبو عن السمع أو يتنـافر مع مـا قبله أو ما بعـده. ولا تجد عبارة أرقـى في مستوى بلاغتهـا من عبارة، بل كـل عبارة مطابقة لمقتضى الحال الـذي وردت من أجله حتى إنـك لو رمت نزع لفظة من مكانها لتستبـدل بها أحسن منها لا تستطيع، فعجيب نظم القـرآن وبديع

---

(١) انظر الباقلاني: إعجاز القرآن. ٣٨.

تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين مع تعرضه لأمور كثيرة من ذكر قصص ومواعظ، واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، وتبشير وتخويف، ووعد ووعيد، وأوصاف وتعليم، وأخلاق كريمة وشيم رفيعة، وسير مأثورة. فلو كان من عند البشر لوجدته مختلفاً متفاوتاً. ألا ترى أن كلام البليغ الكامل، والشاعر المبدع والخطيب المصقع يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور، فمن الشعراء من يجوّد في المدح دون الهجو، ومنهم من يسبق في التقريظ دون التأبين.. بل إذا تأملت شعر الشاعر البليغ رأيت التفاوت في شعره على حسب ا لأحوال التي يتصرف فيها والمواضيع التي يطرقها بخلاف القرآن الكريم فإنه على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والرصف لا تفاوت فيه (١).

وأما روعة هذا القرآن وهيبته وقوّة تأثيره فقد اعترف بها جماعة قبل الإسلام وبعده فمنهم من أسلم لها لأول وهلة وآمن به، ومنهم من كفر:

فعن جبير بن مطعم أنه سمع الرسول ﷺ يقرأ في المغرب: ﴿ وَٱلطُّورِ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٍ.. ﴾ (٢) فلما بلغ الآية: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ... إلى قوله... ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾(٣) قال: كاد قلبي يطير، وفي رواية: وذلك أول ما دخل الإيمان قلبي.

وعن عتبة بن ربيعة أنه كلّم النبي ﷺ فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليه: حم فصلت... إلى قوله: ﴿ صَٰعِقَةً مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴾ (٤) فأمسك عتبة بيده على فيّ النبي ﷺ وناشده الرحم أن يكف. وفي رواية: فجعل النبي ﷺ يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف ظهره معتمداً عليهما حتى انتهى إلى السجدة فسجد ﷺ، وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قومه حتى أتوه فاعتذر لهم، وقال: لقد كلمني بكلام والله ما سمعت أذناي بمثله قط فما دريت ما أقول له.

(١) انظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص ٥٤ ــ ٥٥، السيوطي: معترك الأقران ج ١ ص ٢٧ ــ ٢٩، خلاف: أصول الفقه ص ٢٧ ــ ٢٨.
(٢) سورة الطور الآيتان ١ ــ ٢.
(٣) سورة الطور الآيات ٣٥ ــ ٣٧.
(٤) سورة فصلت آية ١٣.

وقد حكي عن غير واحد [١] ممن رام معارضة القرآن أنّه اعترته روعة وهيبة كفّ بها عن ذلك [٢].

ومما يدلك على قوّة تأثيره أيضاً : أنه لا يملّ سماعه، ولا تبلى جدته، فلا تزيد تلاوته إلا حلاوة، ولا ترديده إلاّ محبة، ولا يزال غضا طرياً كأنها الساعة نزل، مع أن غيره من الكلام ــ ولو كان بليغاً فصيحاً ــ تمجه الآذان مع الترديد. ويزداد النفور منه إذا أعيد. وقد تأثر بجماله وروعته الوليد بن المغيرة غاية التأثر حتى وصفه بقوله : «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، ما يقول هذا بشر»[٣].

الوجه الثاني : إعجاز تشريعاته :

عرفت البشرية في عصور التاريخ المختلفة تشريعات كثيرة كان الغرض منها الأخذ بيد الناس نحو السعادة التي يصبو إليها بنو البشر.

وبالإمكان القول ــ دون مبالغة ــ إن تشريعات الإسلام المستمدة من الكتاب والسنة هي الوحيدة التي حققت السعادة لذلك المجتمع الإسلامي الذي ضمّ بين دفتيه أفراداً من أجناس شتى عاشوا في أصقاع متباعدة الأطراف عندما التزم ذلك المجتمع وحرص على تطبيقها، وهي مازالت كفيلة بإضفاء السعادة على أفراد أي مجتمع ينشد تطبيقها والعمل على الالتزام بها.

---

(١) حكى ذلك عن ابن المقفع ويحيى بن حكيم بليغ الأندلس في زمانه.

(٢) انظر السيوطي معترك الأقران ج ١ ص ٢٤٣ والبيهقي دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٠٣ وما بعدها والأصبهاني دلائل النبوة ١ : ٣٠٤، ٣٠٥. حول سماع عتبة القرآن.

(٣) الأصبهاني دلائل النبوة ١ : ٣٠٣.

وانظر البيهقي : دلائل النبوة ج ٢ : ص ١٩٨، المستدرك ٢ : ٥٠٦ وقال صحيح الإسناد، وانظر السيوطي : معترك الأقران ١ : ٢٤٤، خلاف : أصول الفقه ٣١.

وإعجاز القرآن التشريعي يستطيع أي متأمل أن يدركه فهو ليس بالإعجاز اللغوي الذي لا يعرفه إلا من عرف العربية وتعلمها وتذوقها، ذلك أن هذا التشريع تناول جوانب الحياة كلها(١).

فنظم علاقة الفرد بخالقه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بغيره من أفراد مجتمعه ـ الذي يضمّ المسلمين وغيرهم ـ كما نظم أيضاً علاقة المجتمع المسلم بالمجتمعات الأخرى في حالتي السلم والحرب.

ثم إن المتأمل يجد أن هذه التشريعات قد امتازت بخصائص لم تتوافر في غيرها من شمول وكمال وتوازن، وعدم تعارض واضطراب، فلا تجد في القرآن الكريم حكماً يناقض آخر ولا معنى يعارض معنى مع أن القرآن نزل في ثلاث وعشرين سنة وآيات الأحكام فيه كثيرة، وصدق الله إذ يقول ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾(٢).

كما أن التشريعات امتازت باليسر ورفع الحرج، واتسمت أيضاً بالعدل بين الناس، وساوت بينهم فنبذت التفرقة بين واحد وآخر أمام الله عز وجل ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(٣).

كما أنها عملت على حفظ الضرورات الخمس في حياة الناس فحفظت الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل. فكانت بذلك كله موافقة لفطرة الإنسان تسير معها جنباً إلى جنب فجنبت الإنسان الوقوع في الشقاء والتخبط.

ولعلّ من أبرز ما امتازت به هذه التشريعات صلاحيتها لكل زمان ومكان فما من حادثة تجدّ إلاّ ولها حكم شرعي يستنبطه العلماء العارفون بالكتاب والسنة(٤).

---

(١) خلاف، أصول الفقه: ٣٢ ـ ٣٣ وانظر: سالم المدخل إلى الثقافة الإسلامية ٢٥٩.

(٢) النساء: آية ٨٢. وانظر خلاف: أصول الفقه ٢٨.

(٣) الحجرات: آية ١٣.

(٤) انظر د. ترتوري: بحث الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم ص ٢ وما بعدها، وانظر القطان: مباحث في علوم القرآن ٢٧٥ وما بعدها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن تشريعات الإسلام المستمدة من الكتاب والسنة قد اعترف بعظمتها رجال القانون حتى من غير المسلمين.

فقد أعلن المؤتمر الدولي المنعقد في لاهاي عام ١٩٣٧م اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام كما أعلن أن الشريعة الإسلامية قائمة بذاتها مستقلة عن غيرها.

وفي أسبوع الفقه الإسلامي المنعقد في باريس عام ١٩٥٢م وقف نقيب المحامين الفرنسيين ليقول: «لا أدري كيف أوفق بين ما كان يصور لنا من جمود الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي وعدم صلاحيتها كأساس لتشريعات متطورة، وبين ما سمعته مما يثبت ــ من غير شك ــ فاعلية الشريعة الإسلامية من عمق وأصالة ودقة وكثرة تفريع وصلاحية لمقابلة جميع الأحداث».

وها هي جمعية القانون الدولي العام تعتبر محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة الرائد الأول للقانون الدولي العام [1].

ومعلوم أن الفقه الإسلامي ــ الذي اعترف بعظمته المنصفون من غير المسلمين ــ يستمد بشكل أساسي من الكتاب والسنة.

بقي أن نقول إن هذا التشريع القرآني لا غرابة أبداً في كونه متميزاً ومتفرداً ومتفوقاً على جميع التشريعات الأخرى ذلك أنه من عند خالق النفس البشرية العالم بما يصلحها ويسعدها، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [2].

الوجه الثالث: انطباق آياته على ما جاء به العلم الحديث:

أنزل الله تعالى كتابه ليكون دستوراً للناس ونبراساً يهتدون به، ويحكمونه فيما بينهم، وأقام الحجة به عليهم.

---

(١) انظر الزنداني: طريق الإيمان ص ٦٢ ــ ٦٣، وانظر رشاد سالم: المدخل إلى الثقافة الإسلامية ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠.

(٢) الملك: آية ١٤.

وهذا الكتاب الكريم لم يكن من مقاصده تقرير حقائق علمية تتعلق بالإنسان والكون، لكنه سبحانه أثناء سوقه الأدلة على وجوده ووحدانيته، وتذكير الناس بنعمه وآلائه التي لا تحصى، ولفت الأنظار إلى قدرته الباهرة ــ أثناء ذلك كله ــ ذكر سبحانه آيات لفتت النظر إلى حقائق علمية لم تعرف إلاّ بعد عصر التنزيل بقرون كثيرة. فكلما كشف البحث العلمي سنة كونية أو حقيقة علمية وظهر أن آية في القرآن الكريم أشارت إلى تلك السنة أو الحقيقة قام برهان جديد على أن القرآن من عند الله.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض الناس لا يرون أن تفسر بعض آيات القرآن الكريم وفق ما جاء به العلم الحديث محتجين بأن آيات القرآن لها مدلولات ثابتة مستقرة لا تبدل ولا تتغير، بينما معطيات العلم قد تتغير وتتبدل من حين لآخر نتيجة البحث الدائم المستمر، فكم من نظرية علمية دافع عنها أصحابها ثم تراجعوا عنها بعد أن ظهر خطؤها وبطلانها[1].

لكن هذا الرأي لا يسلم من النقد، إذ إنّ تفسير آية قرآنية بما كشف العلم الحديث من سنن كونية ما هو إلاّ فهم للآية بوجه من وجوه الدلالة على ضوء العلم، وليس معنى هذا إنّ الآية لا تفهم إلا بهذا الوجه من الوجوه، فإذا ظهر خطأ ما اكتشفه العلم ظهر خطأ فهم الآية على هذا الوجه لا خطأ الآية نفسها. وهذا ينطبق تماما على غير ما اكتشفه العلم، ألا ترى أن عالماً قد يفهم حكماً شرعياً من آية قرآنية ثم يعدل عن هذا الفهم إذا تبين له خطأ فهمه بظهور دليل جديد أبطل فهمه الأول؟[2].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنه يجب على من يتصدى لتفسير آيات القرآن الكريم وفقا لما جاء به العلم الحديث أن يتحرى حقائق العلم التي أثبت العلماء أنها حقائق لا مجال للرجوع عنها تاركاً الفرضيات والنظريات التي لم تصبح حقائق بعد. كما عليه أيضاً أن يتجنب تحميل النصوص القرآنية ما لا تحتمل.

---

(١) انظر القطان: مباحث في علوم القرآن ٢٧٠.

(٢) خلاف: أصول الفقه، ص ٢٩ ــ ٣٠.

ومما تجدر الإشارة [١] إليه أيضاً أنه لا يمكن أبداً أن يأتي يوم يصل فيه العلم إلى حيقية تتعارض مع آية قرآنية قطعية الدلالة لأن القرآن كلام الله والكون صنع الله وكلام الله وصنعه لا يتناقضان أبداً بل يصدق أحدهما الآخر لأن مصدرهما واحد . لذا فقد جاءت الحقائق العلمية مؤيدة لما في كتاب الله تعالى ومصدقة له .

والنصوص القرآنية التي أشارت إلى حقائق علمية كثيرة بيّنها العلماء في كتبهم وندواتهم ومؤتمراتهم ومحاضراتهم ونكتفي هنا بذكر أمثلة يسيرة :

١ — قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ . . . ﴾ [٢] .

أشارت هذه الآية الكريمة إلى ما يصيب الإنسان من ضيق وعوارض الاختناق عند صعوده إلى طبقات الجو العليا بسبب ما يصاحب هذا الصعود من قلة الضغط الجوي وقلة الأكسجين [٣] .

وهذه حقيقة لم يكن يعلم بها أحد لا من العلماء ولا من غيرهم في زمن محمد ﷺ إلا بعد صعود الإنسان في العصر الحديث إلى طبقات الجو العليا .

٢ — قال سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [٤] .

تقرر هذه الآية أن السموات والأرض كانتا متصلتين ثم وقع الانفصال بينهما بمشيئة الله وقدرته وقد أثبت العلم الحديث ما قالت به الآية قبل أربعة عشر قرناً .

(١) السائح : عقيدة المسلم وما يتصل بها ص ٢٦٢ .
(٢) الأنعام : آية ١٢٥ .
(٣) انظر : الاستانبولي : إعجاز القرآن العلمي ص ٢١ — ٢٢ ، الكليب : علامات النبوة ص ٨١ ، القطان : مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٣ ، الزنداني : توحيد الخالق ص ٤٧ .
(٤) الأنبياء : آية ٣٠ .

أما الحقيقة الأخرى التي قررتها الآية القـرآنية فهي أن الماء أصل كل شيء حي، وهذا ما أثبته العلم الحديـث من أن الماء هو العنصر الأول المكوّن لكل خلية حيـة، فلا حياة ممكنة بدون وجوده [1].

٣ ـ قال جل وعلا ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [2].

وقال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [3].

وقال: ﴿ ... وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ [4].

وقال: ﴿ ... فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ [5].

وقال: ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ... ﴾ [6].

وقال: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ [7].

من خـلال هذه الآيات الكـريمة يتبين أن كـل شيء قائم على نظام الـزوجية، وأنها منتشرة في كل شيء، وهذا ما أثبته العلم الحديـث فهي ليست مقصورة على الإنسان أو الحيوان بل في النباتات والجماد كذلك، وقـد أخبر الله في كتابه بهذا قبل أربعة عشر قرناً [8].

---

(١) بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢١٢، السائح: عقيدة المسلم ص ٢٧٢، رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٣٥٥، الاستـانبولي: إعجاز القرآن العلمي ص ٢٣ ـ ٢٤، القطان: مبـاحث في علوم القرآن ص ٢٧٣، الزنداني: توحيد الخالق ص ٤٦.

(٢) الذاريات: آية ٤٩.

(٣) يس: آية ٣٦.

(٤) طه: آية ٥٣.

(٥) لقمان: آية ١٠.

(٦) الرعد: آية ٣.

(٧) النجم آية ٤٥ ـ ٤٦.

(٨) بوكاي: دراسة الكتب المقدسة ص ٢١٤ ـ ٢١٦، رشيد رضا: الوحي المحمدي ص ٣٥٥.

٤ — قال تعالى :

﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [١].

أثبت العلم الحديث أن شكل الأرض مستدير كروي إلا أنه غير تام الاستدارة فبعد أن تمكن العلماء قبيل ثلاثة قرون تقريباً من قياس أبعاد الأرض بدقة متناهية وجدوا أن نصف القطر الاستوائي يزيد على نصف القطر القطبي بمقدار ٥ , ٢١ كيلومتر تقريباً. أي أنَّ الأرض أنقصت من أطرافها، وهذا ما بينه القرآن الكريم من قبل [٢].

٥ — قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ [٣]. وقال تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا. . . ﴾ [٤].

يقول وحيد الدين خان : وهذه الآية مطابقة لما كان يراه الإنسان في الماضي فإنه كان يشاهد عالماً كبيراً قائماً بذاته في الفضاء مكوناً من الشمس والقمر والنجوم ولكنه لم ير أية ساريات أو أعمدة. والإنسان اليوم يجد في هذه الآية تفسيراً لمشاهدته التي تثبت أن الأجرام السماوية قائمة دون عمد في الفضاء الرحب بيد أن هناك عمداً غير مرئية تتمثل في قانون الجاذبية وهي التي تساعد كل هذه الاجرام على البقاء في أمكنتها المحددة [٥].

وأخيراً : هذه النماذج التي ذكرناها ما هي إلاّ غيض من فيض وقليل من كثير، وإنما تدل على أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير وأنه ليس لمحمد ﷺ أي دور فيه سوى التبليغ عن ربه عز وجل.

الوجه الرابع : تضمنه أخباراً غيبية لا يعرفها إلّا علام الغيوب :

أخبرنا الله تعالى في كتابه بمغيبات كثيرة كان فيها أوضح الدلالة على صدق نبوته ﷺ فمن هذه المغيبات :

---

(١) الأنبياء : آية ٤٤.

(٢) السائح : عقيدة المسلم ص ٢٧٤، الاستانبولي : إعجاز القرآن العلمي ص ٣٢.

(٣) الرعد : آية ٢.

(٤) لقمان : آية ١٠.

(٥) خان : الإسلام يتحدى ٢١٢ ــ ٢١٣، صدقي : معجزة القرآن ص ٣٦ ــ ٣٧، الاستانبولي : إعجاز القرآن العلمي ص ٧٩.

(١) غيب مضى يتعلق بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة كقصة آدم عليه السلام. وابتداء خلقه وما صار أمره إليه من الخروج من الجنة.. وكقصص الأنبياء مع أقوامهم، وكقصة أصحاب الكهف، وذي القرنين، ويأجوج ومأجوج... وغير ذلك من القصص مع أنه لم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأقاصيصهم وأنبائهم وسيرهم، فكانت هذه الأخبار من أوضح الأدلة على نبوته ﷺ إذ جاء بها على وجهها أمّي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يكن ملازماً لأهل الآثار وحملة الأخبار ولا متردداً إلى التعلم منهم، وصدق الله إذ يقول:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾[١] فلا ريب إذن ــ والحال هذه ــ أن مثل هذه الأخبار لا يمكن أن تكون إلاّ من عند من يعلم الماضي والحاضر والمستقبل مصداقاً لقوله تعالى:

﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

٢ ــ ومنها أيضاً مغيبات لم تكن واقعة حين الإخبار بها ثم وقعت وهي كثيرة جداً نكتفي بإيراد بعضها:

أ ــ ما وعد الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام من أنه سيظهر دينه على الأديان جميعاً.

قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[٣].

وقد تحقق ذلك بانتشار الإسلام وحكمه الكثير من بقاع المعمورة[٤].

---

(١) العنكبوت: آية ٤٨.

(٢) هود: آية ٤٩. وانظر: الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٥٠ ــ ٥١، السيوطي: معترك الأقران ج ١: ٢٤٠ ــ ٢٤١.

(٣) الصف: آية ٩.

(٤) انظر: الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٧٣، البيهقي: الاعتقاد ص ٢٦٤، الهاروني: إثبات نبوة النبي ﷺ ص ١٢٦ ــ ١٢٧، السيوطي: معترك الأقران ص ٢٣٩.

ب ــ قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ . . ﴾(١) .

وحصل ذلك بأن دخلوا المسجد الحرام آمنين مطمئنين (٢) .

ج ــ قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (٣) .

وحصل كما أخبر سبحانه ، فمكن لهم دينهم واستخلفهم في الأرض وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب(٤) .

د ــ قال تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (٥) .

تضمنت هذه الآيات الكريمة غيوباً ثلاثة :

* الإخبار بنصر الروم بعد الهزيمة ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ . وهذا من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله .

* أن النصر سيتم في بضع سنين (٦) . وهذا التحديد أيضاً من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى .

---

(١) الفتح : آية ٢٧ .

(٢) الباقلاني : إعجاز القرآن ٧٢ ، البيهقي : الاعتقاد ص ٢٦٣ ، الطبري : الدين والدولة ص ٧٦ .

(٣) النور : آية ٥٥ .

(٤) الباقلاني : إعجاز القرآن ص ٧٢ ، السيوطي : معترك الأقران ١ : ٢٣٩ ، البيهقي : الاعتقاد ص ٢٦٥ ، الطبري : الدين والدولة ص ٨١ .

(٥) الروم : آية ١ ــ ٥ .

(٦) البضع فوق الثلاث ودون العشر.

* وثالث هذه الغيوب تضمّنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ..﴾ فأخبر تعالى بأنهم سيفرحون في ذلك الوقت. وهذا من الغيب؛ لأنه خبر عن بقاء المؤمنين إلى ذلك الوقت مع قلتهم وضعفهم وطمع أعدائهم بهم إذ إن هذه الآيات نزلت قبل الهجرة بمكة. ثم إن ظفر المسلمين ببدر وقع في الوقت الذي ظفر فيه الروم على الفرس وعندها فرح المؤمنون بنصر الله[1].

هـ ـــ ومن الغيب أيضاً: إخباره سبحانه بأن أبا لهب وزوجه في النار وكانا آنذاك حيين. وبالفعل ماتا على الكفر ولم يؤمنا ـــ ولو نفاقاً[2].

و ـــ وقال تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[3]. فحفظ سبحانه كتابه من تحريف المحرفين ولا يزال محفوظاً وسيبقى كذلك أيضاً[4].

ز ـــ قال سبحانه: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ...﴾[5] فعصم سبحانه نبيه على كثرة من أراد ضره وقصد قتله[6].

فهذه بعض المغيبات التي ذكرها الله في كتابه وكانت غيباً حين الإخبار بها ثم حصلت كما أخبر مما يدل بوضوح على أن الذي أخبر بها قبل وقوعها هو عالم الغيب والشهادة، فكانت هذه الأخبار وغيرها تحمل في طياتها براهين دامغة على نبوة محمد ﷺ الذي اختاره الله تعالى لإنزال كتابه عليه.

وبعد هذا الحديث عن كتاب الله تعالى ووجوه الإعجاز فيه، وأنه معجزة الرسول محمد ﷺ الباقية الخالدة على مدى الدهر والزمان أسجل ـــ في هذا المقام ـــ كلمة جامعة نافعة إن شاء الله للشيخ السيد سابق حول معجزة رسولنا الخالدة حيث قال:

---

(١) انظر: الهاروني: إثبات نبوة محمد ﷺ ص ١٢٧ ـــ ١٢٨، الباقلاني: إعجاز القرآن ص ٧٢، البيهقي: الاعتقاد ص ٢٦٢، دلائل النبوة ٢: ٣٣٢ وما بعدها، السيوطي: معترك الأقران: ١: ٢٣٩.

(٢) انظر سورة المسد. وانظر: الهاروني: إثبات نبوة محمد ﷺ ص ١٣٢، والبيهقي: الاعتقاد ص ٢٦٦.

(٣) الحجر: آية ٩.

(٤) انظر عياض الشفا ١: ١٧٣.

(٥) المائدة: آية ٦٧.

(٦) عياض الشفا: ١: ١٧٤: معترك الأقران ١: ٢٤٠، الزرقاني: مناهل العرفان ٢: ٢٦٦ ـــ ٢٦٧.

«إنه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما لهذا القرآن، من سمو الموضوع وسحر البيان، وقوة التأثير، مما وجه عناية العلماء إلى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه، ومعانيه وعقائده، وآدابه وأحكامه، وتشريعاته. فخلفوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العلم والأدب، لا تزال ولن تزال المادة الصالحة لقيام حضارة إنسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش أرغد. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [(١)].

هذه هي المعجزة التي أيّد الله بها نبيه الأمي، والتي غيّر بها نفوساً، وأحيا قلوباً، وأنار بصائر وربى أمّة، وكوّن دولة في سنى تعدّ على الأصابع.

إذا كان قلب العصا حيّة معجزة، فإن تغيير العقول والقلوب أبلغ في الإعجاز. وإذا كان إحياء الميت من الخوارق التي أيّد الله بها بعض أنبيائه فإنّ إحياء أمّة أمية من الجهل والرذيلة، وجعلها مصدر إشعاع وهداية، هو الخارق الذي تتضاءل في جوانبه جميع المعجزات» أهـ. [(٢)] وتمثل ببيتين من الشعر:

الله أكبر إن دين محمد ... وكتابه أقوى وأقوم قيلا
لا تذكر الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفىء القنديلا

ثانياً: خلقته وخلقه وجميل سيرته تؤكد صدق نبوته

مما لا شك فيه أنّ الله تعالى منّ على رسوله بأن حباه خلقه.. وصورة تجعل من يراه يعرف أن وجهه ﷺ لا يأتي إلا بالصدق، فقد كانت صورته ﷺ محببة إلى كل من شرح الله صدره للإيمان، وقد ذكر أصحابه ـ رضوان الله عليهم ـ من أوصافه الكثير الكثير حيث تجعل من يتأملها يؤمن بأن صاحبها رسول من عند الله تعالى اجتباه وحباه وصوره فأحسن صورته. عن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير [(٣)].

(١) الشورى: آية ٥٢.

(٢) سابق: العقائد الإسلامية ص ٢٢٠.

(٣) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب صفة النبي ﷺ ج ٤/ ١٦٥.

وعن أبي جحيفة رضي الله عنه أنه رأى النبي ﷺ يصلي بـالبطحاء وبين يديه عنزة [١] فجعل الناس يأخـذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال فأخـذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك [٢].

وعن أنس رضي الله عنه قال: ما مسست حريراً ولا ديباجاً ألين من كف النبي ﷺ، ولا شممت ريحاً قط أو عرفاً [٣] قط أطيب من ريح أو عرف النبي ﷺ [٤].

أما عن خلقه وجميل سيرته فحدّث ولا حرج:

* فقد كان أحسن الناس خلقاً حتى قال ربه فيه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [٥]، وعن أنس رضي الله عنه قال: والله لقد خدمتـه تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعته: لم فعلت كذا وكذا؟ أو لشيء تركته: هلاّ فعلت كذا وكذا [٦].

* وكان كـريماً سخياً جـواداً فعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال: كـان ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان . . . [٧]

وعن جابر بن عبدالله قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ فقال: لا [٨].

* وكان أكثر الناس رحمة بالمؤمنين حتى قال الله فيه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [٩].

* وكان قمة في التواضع، فكان إذا مر على الصبيان سلّم عليهم.

---

(١) العنزة (بفتح النون) عصا أقصر من الرمح لها سنان. وقيل هي الحربة الصغيرة.

(٢) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب صفة النبي ﷺ ٤/ ١٦٥، ١٦٧.

(٣) العرف: الرائحة مطلقاً، وأكثر ما يستعمل في الطيب.

(٤) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب صفة النبي ﷺ ٤/ ١٦٥، ١٦٧.

(٥) سورة: ن، آية ٤.

(٦) مسلم كتاب الفضائل ٤/ ١٨٠٥.

(٧) المصدر نفسه ٤/ ١٨٠٣.

(٨) المصدر نفسه كتاب الفضائل ٤/ ١٤٠٥.

(٩) التوبة: آية ١٢٨، وانظر سلامه على الصبيان، مسلم: كتاب السلام ٤/ ١٧٠٨.

وكان يقول : (لـو دعيت إلى ذراع أو كراع لأجبت، ولـو أهدي إليّ ذراع أو كراع [١] لقبلت) [٢] وهذا تواضع منه ﷺ.

* وكان زاهـداً قانعاً بـاليسير فعن عائشـة رضي الله عنها أنها قـالت لعروة : يـا ابن أختي إنـا كنا لننظـر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثـة أهلة في شهريـن وما أوقـدت في أبيات رسول الله ﷺ نـار. فقلت : يـا خالـة : ما كـان يعيشكم ؟ قـالت : الأسـودان التمر والماء. . . [٣]

وعن عمرو بن الحارث أخي جويريـة بنت الحارث قال : ما ترك رسول الله ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ولا عبـداً ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحـه وأرضاً جعلها صدقة [٤].

وكان كثير الحياء حتى وصفه أبو سعيد الخدري بقـوله : كان أشدّ حياء من العذراء في خدرها [٥].

وكان عابـداً لله تعالى مستغفراً له باستمـرار حتى قال فيه المغيرة بـن شعبة : إن كان ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه فيقال له فيقول : «أفلا أكون عبداً شكوراً» [٦].

وقال عليه الصلاة والسلام : (. . . وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) [٧]. وكان شجاعـاً مجاهداً في سبيله سبحـانه، فإذا حمي الوطيـس في المعركة وشمـرت الحرب عن ساقيها رأيت فيه مثال الشجاعة والثبات كما حدث في أحد وحنين حين قال فيه البراء : كنا والله إذا احمرّ البـأس نتقي به. وإن الشجاع منـا للذي يحاذي به. يعني النبـي عليه الصلاة والسلام [٨].

---

(١) الكراع من البقر والغنم أسفل الساق العاري من اللحم.
(٢)، (٣) البخاري كتاب الهبة ٣/ ١٢٩.
(٤) البخاري كتاب الوصايا ٣/ ١٨٦.
(٥) مسلم كتاب الفضائل ٤/ ١٨٠٩.
(٦) البخاري كتاب التهجد ١/ ٤٤.
(٧) مسلم كتاب الذكر والدعاء ٤/ ٢٠٧٥.
(٨) مسلم كتاب الجهاد ج ٣/ ص ١٤٠١.

وكان حليماً صفوحاً لا يغضب إلاّ لله تعالى حتى قالت فيه زوجته عائشة : ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهم ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه. وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنهك حرمة الله عز وجل (١).

أما صدقه وأمانته فاعترف بها العدو والصديق، فما أثر عنه الكذب ولا الخيانة لا قبل النبوة ولا بعدها حتى لقبه قومه بالأمين.

وهذه الأخلاق الإنسانية الكاملة والسيرة العطرة هي التي جعلت بعض من تأملها يقر بأنه رسول من عند الله كما حدث مع السيدة خديجة رضي الله عنها عندما أخبرها بما حصل معه في حراء وأنه خشي على نفسه، فكان جوابها له : (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتحمل الكلّ (٢)، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. . .) (٣).

وهذا عينه هو الذي حدا بهرقل ملك الروم إلى الإقرار بنبوة محمد ﷺ بعد أن سأل أبا سفيان أسئلة عديدة عن هذا النبي وصفاته فكان مما سأل أبا سفيان عنه :

كيف نسبه فيكم ؟ وهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ وبماذا يأمركم؟ وهل يغدر؟ . . . إلى غير ذلك من الأسئلة، وبعد أن أجابه أبو سفيان ردّ عليه هرقل بقوله : إني سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. . . وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله. . وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا. وكذلك الرسل لا تغدر. وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً، فسيملك موضع قدميّ هاتين. . . (٤).

---

(١) المصدر نفسه كتاب الفضائل ٤/ ١٨١٣.

(٢) الكل : أصله الثقل. ومنه قوله تعالى «وهو كلّ على مولاه» ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال.

(٣) البخاري كتاب بدء الوحي ١/ ٣، ومسلم كتاب الإيمان ١/ ١٤١.

(٤) البخاري كتاب بدء الوحي ١/ ٥.

وهذه الأخلاق التي تحلى بها الرسول ﷺ ظلت ملازمة له طوال حياته ومن أول عمره إلى آخره إذ كانت سجية من سجاياه وطبعاً من طباعه لم يحمل نفسه على التكلف بها إذ المتكلف لا يمكنه الثبات على ذلك طوال عمره، وهذا ما أشار إليه سبحانه :

﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (١).

وخلاصة القول : إن مثل هذه الصفات الخلقية والخلقية وهذه السيرة المرضية لا يتأتى بعض منها إلاّ لنبي منّ الله عليه بنعمة الرسالة فهداه واجتباه وحباه فكيف بها مجتمعة في شخصه الكريم ؟ لا شك أن اجتماعها فيه من أعظم الأدلة على نبوته ﷺ.

ثالثاً : استجابة دعائه ﷺ

* فمن ذلك دعاؤه على سراقة بن مالك واستجابة الله له في ذلك.

فعن البراء بن عازب أن أبا بكر أخبره كيف هاجر مع النبي عليه الصلاة والسلام وماذا حصل معهما أثناء ذلك فكان مما أخبره به : أن سراقة اتبعهم فقلت (والكلام لأبي بكر) أتينا يا رسول الله فقال لا تحزن إن الله معنا فدعا عليه النبي ﷺ فارتطمت (٢) به فرسه إلى بطنها. فقال : (سراقة) إني أراكما قد دعوتما عليّ فادعوا لي فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب. فدعا له ﷺ فنجا. فجعل لا يلقى أحداً إلا قال كفيتكم ما هنا. فلا يلقى أحداً إلاّ رده (٣).

* ومن ذلك ما رواه أنس أن النبي ﷺ كان يخطب يوم الجمعة فقام أعرابي فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة (٤).

---

(١) سورة ص : آية ٨٦ وانظر إيثار الحق على الخلق ص ٧٩.

(٢) فارتطمت به فرسه : أي غاصت به قوائمها.

(٣)انظر البخاري كتاب المناقب ٤ : ١٨٠ ــ ١٨١.

(٤) القزعة : القطعة من السحاب.

فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي — أو قال غيره — فقال : يا رسول الله تهدّم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يده فقال : اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة [1] وسال الوادي قناة [2] شهراً ولم يجيء أحد من ناحية إلا حدّث بالجود [3].

* ومن ذلك دعاؤه على نفر من قريش لإيذائهم إياه ﷺ.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : استقبل رسول الله ﷺ البيت فدعا على ستة نفر من قريش فيهم أبو جهل، وأميّة بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط، فأقسم بالله لقد رأيتهم صرعى على بدر، قد غيرتهم الشمس، وكان يوماً حاراً [4].

* ومن ذلك أيضاً أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله. فقال : (كل بيمينك). قال : (لا أستطيع) قال: لا استطعت فما رفعها إلى فيه.

وسبب دعاء الرسول ﷺ عليه علمه بأنه يستطيع الأكل بيمينه لكنّ الكبر منعه من الاستجابة لطلب الرسول عليه الصلاة والسلام [5].

* ومن ذلك ما صح عن جرير بن عبدالله أنه قال : « . . . ولقد شكوت إليه (يعني الرسول عليه الصلاة والسلام) أني لا أثبت على الخيل فضرب بيده في صدري وقال : (اللهمّ ثبّته. واجعله هادياً مهدياً) فأصبح جرير بهذه الدعوة فارساً [6].

---

(١) الجوبة : الفرجة المستديرة في السحاب.

(٢) قناة : مرفوع على البدل من الوادي غير منصرف لأنه اسم لواد معين من أودية المدينة.

(٣) البخاري كتاب الجمعة ١/ ٢٢٤.

(٤) رواه مسلم كتاب الجهاد والسير ٣ : ١٤٢٠، والبخاري كتاب الوضوء ١/ ٦٥.

(٥) انظر صحيح مسلم كتاب الأشربة ٣/ ١٥٩٩.

(٦) المصدر نفسه كتاب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٢٦

* وبفضل دعائهﷺ هدى الله أم أبي هريرة رضي الله عنه. فقد كانت تقول في رسول الله ﷺ عندما يدعوها ولدها إلى الإسلام ــ ما يحزن ولدها ويبكيه، فأتى مرة إلى رسول الله ﷺ باكياً طالباً منه أن يدعو لأمه بالهداية فقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم اهد أم أبي هريرة) فخرج مستبشراً بدعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام فلما إن وصل البيت حتى أمرته أمّه بعدم الدخول فعرف أنها تغتسل، فلما انتهت فتحت الباب وشهدت شهادة الحق، فعاد هذه المرة إلى رسول الله ﷺ باكياً من شدة الفرح يبشره بهداية أمه [(١)].

رابعاً: المعجزات الحسية التي ظهرت على يديه ﷺ ونقلها عنه أصحابه:

إذا كان الأنبياء والرسل السابقون قد أكرمهم الله تعالى بأن جعل على أيديهم بعض المعجزات الحسية المشاهدة وكانت بمثابة دليل على صدق نبوتهم. فإن الله تعالى قد أكرم نبيّنا بمعجزات حسية كثيرة تفوق من سبقه من الأنبياء، ونقلت إلينا بسند لا يرقى إليه أي شك. فمعجزاته ﷺ قد أفردت فيها مصنفات مستقلة لكثرتها، والمقام هنا لا يتسع إلاّ لذكر بعضها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر فمن ذلك:

(١) انشقاق القمر. فقد سأل أهل مكة رسول الله ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر مرتين [(٢)].

وعن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فلقتين فستر الجبل فلقة. وكانت فلقة فوق الجبل. فقال ﷺ اللهم اشهد [(٣)].

وقد سجل الله تعالى هذه الآية العجيبة في كتابه الكريم فقال: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [(٤)].

(١) انظر صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٣٨.

(٢) أخرجه مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب انشقاق القمر ٤/ ٢١٥٩.

(٣) المصدر نفس كتاب صفات المنافقين باب انشقاق القمر ٤/ ٢١٥٩.

(٤) سورة القمر: ١ ــ ٢.

(٢) تكثير الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة.

وقد حصل هذا أكثر من مرة وفي أماكن متعددة، وانتفع خلق كثير بهذا الماء.

عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا بإناء من ماء فأتي بقدح رحراح فيه شيء من ماء فوضع أصابعه فيه، قال أنس فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من أصابعه فحزرت من توضأ منه ما بين السبعين إلى الثمانين [١].

وعنه رضي الله عنه أنه قال: كان نبي الله ﷺ وأصحابه بالزّوراء [٢] فدعا بقدح فيه ماء. فوضع كفّه فيه. فجعل ينبع من بين أصابعه فتوضأ جميع أصحابه. فقيل له كم كانوا يا أبا حمزة؟ قال كانوا زهاء الثلاثمائة [٣].

وحصل مثل هذا في الحديبية، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة [٤] فتوضأ فجهش [٥] الناس نحوه. فقال ما لكم؟ قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. فقيل لجابر كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا. كنا خمس عشرة مائة [٦].

وهذا تكرر أيضاً في غزوة تبوك، حيث كانت عين تبوك قليلة الماء جداً وغرف بعض الصحابة من العين قليلاً من الماء حتى جمعوه في شيء. فغسل رسول الله ﷺ فيه يديه ووجهه ثم أعاده فيها. قال معاذ راوي الحديث: فجرت العين بماء منهمر حتى استقى الناس [٧].

---

(١) البخاري كتاب الوضوء ١/ ٥٨، ومسلم كتاب الفضائل ٤/ ١٧٨٣.

(٢) الزوراء مكان بالمدينة عند السوق والمسجد كما جاء في نصّ هذه الرواية.

(٣) انظر مسلم كتاب الفضائل باب في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام ٤/ ١٧٨٣، ٢٢٧٩، والبخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ١٦٩.

(٤) الركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه.

(٥) الجهش: أن يفزع الإنسان إلى غيره.

(٦) انظر البخاري باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ١٧٠.

(٧) مسلم كتاب الفضائل ج ٤/ ١٧٨٤.

(٣) تكثيره الطعام. وقد حصل هذا أكثر من مرة فقد أصاب الرسول ﷺ وصحبه الجوع الشديد في غزوة الخندق. وعرف جابر رضي الله عنه ذلك في وجه الرسول ﷺ فعمد إلى بيته وطحن صاعاً من شعيروذبح بهيمة له وجعل اللحم في البرمة [١] وأخبر رسول الله ﷺ بذلك وأشار عليه أن يأتي بنفر من أصحابه معه ليأكلوا. قال جابر: فصاح النبي ﷺ: يا أهل الخندق إن جابراً قد صنع سؤرا فحيّ هلا بكم. فقال رسول الله ﷺ لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء. وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس... فأخرجت [٢] له عجيناً فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك. ثم قال: ادع خابزة فلتخبز معك واقدحي [٣] من برمتكم ولا تنزلوها. وهم ألف. فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا وإن برمتنا لتغط كما هي وإن عجيننا ليخبز كما هو [٤].

ونظير هذا قد حصل مرة أخرى حيث جاء رسول الله ﷺ والناس معه بيت أبي طلحة، وكان أبو طلحة قد عرف الجوع في وجه رسول الله ﷺ فسأل أم سليم عما عندها في البيت أفخبرته أن فيه بعض أقراص من شعير. فلما قدم رسول الله ﷺ ومعه الناس أمر أم سليم أن تأتي بالخبز ففت وعصرت أمّ سليم عكّة [٥] فأدمته [٦] فقال ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول، فعمت البركة وأكل القوم كلهم حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً [٧].

(١) البرمة: القدر من الحجر والجمع برم مثل غرفة وغرف.

(٢) أي أمرأة جابر. وكانت قد عتبت عليه لكثرة الناس وقلّة الطعام. فأخبرها بأنه أشار على رسول الله بأن يأتي بنفر قليل إلا أن الرسول فعل خلاف ذلك.

(٣) اقدحي: أي اغرفي.

(٤) أخرجه البخاري باب غزوة الخندق ٥ : ٤٦.

(٥) عكة: بضم العين إناء من جلد يجعل فيه السمن والعسل.

(٦) أي جعلته إداماً للمفتوت.

(٧) انظر البخاري كتاب المناقب ٤ : ١٧١.

(٤) حنين الجذع على فراقه ﷺ.

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة [١] فقيل له يـا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال : إن شئتـم . فجعلوا له منبراً . فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي [٢] ثم نزل ﷺ فضمه إليه يئنّ أنين الصبي الذي يسكـن . قال : كانت تبكي على ما كانت تسمـع من الذكر عندها [٣].

(٥) ومنها انقياد الشجر له وطاعته إياه.

فعن جابر بن عبـدالله ـ رضي الله عنهما ـ قال : سرنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ حتى نزلنا واديا أفيح [٤] فذهب رسول الله ـ ﷺ ـ يقضي حاجته . فاتبعتـه بأداوة من ماء . فنظر رسول الله ـ ﷺ ـ فلم ير شيئاً يستتر به ـ فإذا شجرتان بشاطىء الوادي فانطلق رسول الله ـ ﷺ ـ إلى إحداهما فأخـذ بغصن من أغصانها . فقـال : انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش [٥] الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى ـ فأخذ بغصن من أغصـانها ـ فقال : انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كـذلك ـ حتى إذا كان بالمنصف [٦] ممـا بينهما، لأم بينهما (يعنـي جمعهما) فقـال : التئما عليّ بـإذن الله فالتأمتا . . . وبعد أن انتهـى من قضاء حاجته يقول جابر : فـإذا أنا برسول الله ـ ﷺ ـ مقبلاً ـ و إذا الشجرتان قد افترقتا ـ فقامت كل واحدة منهما على ساق . . . [٧]

---

(١) وفي رواية أخرى : جذع.

(٢) وفي رواية سمعنا صوتا كصوت العشار. والعشار الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر.

(٣) انظر البخاري كتاب المناقب ٤/ ١٧٣.

(٤) واديا أفيح : أي واسعاً.

(٥) كالبعير المخشوش : هو الذي يجعل في أنفه خشاش وهو عود يجعل في أنف البعير إذا كان صعباً ويشدّ فيه حبل ليذل وينقاد فإذا اشتد عليه وآلمه انقاد.

(٦) بالمنصف : أي نصف المسافة.

(٧) انظر صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ٤ : ٢٣٠٦.

فهذه نماذج من أمثلة كثيرة كلها تشهد بنبوته ﷺ ومن أراد المزيد فعلية مراجعة الكتب التي اختصت بهذا الشأن وهي كثيرة جداً[(١)].

خامساً : إخباره ﷺ بمغيبات كثيرة ثم تحققت كما أخبر

كما أن القرآن الكريم اشتمل على بعض المغيبات الدالة على صدق محمد ﷺ - كما سبق أن أشرنا من قبل - فإنه ﷺ قد أخبر بمغيبات كثيرة فيها الدلالة الواضحة على أنه رسول من عند الله لا ينطق عن الهوى، وهذه المغيبات التي أخبر بها ﷺ صحابته الكرام نقلت إلينا بأسانيد صحيحة ثابتة لا يرقى إليها أي شك أو شبهة، ونكتفي بإيراد بعضها.

١ — إخباره ﷺ بأن عمّار بن ياسر ستقتله الفئة الباغية[(٢)].

٢ — إخباره ﷺ بأن أول أهله لحوقا به ابنته فاطمة[(٣)] رضي الله عنها - وكان الأمر كما أخبر.

٣ — ومن ذلك إخباره بأن الحسن بن علي سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من أمته[(٤)]. وحصل ذلك بأن تنازل الحسن لمعاوية - رضي الله عنهما — عن الحكم وتمّ الصلح.

٤ — ومن ذلك إخباره ﷺ بموت النجاشي ونعيه إياه في اليوم الذي مات فيه[(٥)]. رغم المسافة الشاسعة بينه ﷺ وبين الحبشة.

---

(١) مثل : دلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة للأصبهاني، وكتب السيرة. وهناك من المعجزات الحسية الكثيرة التي وردت في الكتب الستة أيضا غير المذكورة هنا.

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب الصلاة ١ : ١١٥.

(٣) المصدر نفسه كتاب المناقب ٤/ ١٨٣.

(٤) المصدر نفسه كتاب فضائل أصحاب النبي ٤/ ٢١٦.

(٥) انظر صحيح مسلم كتاب الجنائز ٢/ ٦٥٦.

٥ — إخباره ﷺ بأن الخليفتين عمر وعثمان سيستشهدان [١]. وتحقق ما قال.

٦ — ومن ذلك إخباره بأن الله تعالى سيفتح للمسلمين جزيرة العرب وبلاد فارس وبلاد الروم [٢].

٧ — ومن ذلك أنه ﷺ بيّن مكان مصرع بعض الكفار في غزوة بدر قبل بدء القتال، فما تعدى أحد مكانه الذي عيّنه رسول الله ﷺ [٣].

٨ — ومن ذلك إخباره عن سبب هبوب ريح شديدة، وكان قادماً من سفر فأخبر عن السبب قبيل أن يصل المدينة فقال: (بعثت هذه الريح لموت منافق) [٤]. فكان السبب كما قال.

٩ — ومن ذلك: نعيه زيداً وجعفراً وابن رواحة قبل أن يأتيه خبرهم [٥] مع البعد الشاسع بين المدينة ومؤته إذ بينه وبينهم مسيرة شهر في ذلك الزمان.

١٠ — ومن ذلك: إخباره ـ عند وصوله تبوك ـ أنّ ريحاً شديدةً ستهب وأمر ألا يقوم أحد من مكانه وأن من له بعير فليشد عقاله. وحصل ما قال [٦].

١١ — ومن ذلك: تبشيره بعض أصحابه بالجنة، وما علم أن واحداً من هؤلاء المبشرين ارتد عن دينه أو عمل عملاً ينافي هذا التبشير.

١٢ — ومن ذلك أيضاً: إخباره بأن النبوة قد انتهت، وأنه لا نبي بعده، وأن شجرة النبوة قد انقطعت بمبعثه. وقد مضى على إعلان ختم النبوة أكثر من أربعة عشر قرناً، ولم يأت نبي ينقض قوله ﷺ، اللهم إلاّ بعض من ادعاها كذباً وزوراً، وقد حذر هو نفسه ﷺ منهم، قال سبحانه مبيناً ختم النبوة: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [٧].

(١) انظر الترمذي كتاب المناقب ٥/ ٦٢٤.

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٢٥، والبخاري كتاب المناقب ٤/ ١٢٥.

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤/ ٢٢٠٢ ـ ٢٢٠٣.

(٤) المصدر نفسه كتاب صفات المنافقين ٤/ ٢١٤٦.

(٥) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٤/ ٣١٨.

(٦) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل ٤ : ١٧٨٥.

(٧) الأحزاب : آية ٤٠.

وقال ﷺ مؤكداً هذه الحقيقة : (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلاّ وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (١).

وقال ﷺ محذراً من أدعياء النبوة : (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين . كلهم يزعم أنه رسول الله) (٢).

هذه بعض المغيبات التي أخبر بها ﷺ قبل وقوعها فوقعت كما أخبر فأنى لمحمد ﷺ أن يخبر بالغيب ثم يأتي الواقع ليصدق خبره لو لم يكن رسولاً نبياً مؤيداً بوحي الله عز وجل ؟ ولولا ثقته بأنه رسول الله حقاً ما أقدم على الإخبار بأمور مغيبة وهو يعلم تمام العلم أن هذا الغيب الذي أخبر به لو لم يقع لكفر به وبرسالته أقرب المقربين إليه .

سادساً : الكرامات الكثيرة التي ظهرت على يد أصحابه وغيرهم ممن صدق السير على نهجه وطريقه ﷺ

* فمن ذلك البركة التي عمّت طعام أبي بكر - فقد انطلق - رضي الله تعالى عنه - بثلاثة من أهل الصفّة الفقراء إلى بيته ، فكان هو وأهله وضيوفه لا يأخذون من لقمة إلاّ ربا من أسفلها أكثر منها ، فشبعوا جميعاً وصار الطعام أكثر مما كان عليه قبل أن يؤكل (٣).

* ومن ذلك أيضاً ما كان من أمر عمر - رضي الله عنه - أثناء خطبته - فقد بعث رضي الله عنه جيشاً (٤) وأمّر عليهم رجلا يدعى ساريه - فبينما عمر يخطب ، فجعل

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل ٤/ ١٧٩١ .

(٢) المصدر نفسه كتاب الفتن وأشراط الساعة ٤/ ٢٢٤٠ .

(٣) انظر صحيح مسلم كتاب الأشربة ٣/ ١٦٢٧ - ١٦٢٨ .

(٤) أرسل هذا الجيش إلى فارس .

يصيح : يا ساري الجبل. فقدم رسول من الجيش فقال : يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا، فإذا بصائح يصيح يا ساري الجبل. فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله تعالى[1].

* ومن كرامات أصحابه أيضاً : النور الذي أضاء لأسيد بن حضير، وعباد بن بشر فقد خرجا في ليلة مظلمة من عند النبي ﷺ وإذا نور بين أيديهما حتى تفرّقا فتفرق النور معهما[2] وأضاء لكل واحد منهما حتى أتى كل واحد أهله[3].

* ومن ذلك إجابة دعاء بعض أصحابه. فقد خاصمت أروى سعيد بن زيد في بعض داره فقال : دعوها وإياها... ثم دعا قائلاً : اللهم إن كانت كاذبة فاعم بصرها، واجعل قبرها في دارها. فعميت وكانت تقول : أصابتني دعوة سعيد. وبينما هي تمشي مرت على بئر في الدار فوقعت فيها فكانت قبرها[4].

* ومن ذلك : ما كان من أمر سفينة مولى رسول الله ﷺ مع الأسد. قال سفينة : ركبت البحر فانكسرت سفينتي التي كنت فيها فركبت لوحاً من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة فيها أسد فأقبل إليّ يريدني. فقلت : يا أبا الحارث أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه وأقبل إليّ فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة ووضعني على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به[5].

فهذه بعض كرامات أصحابه تشهد بنبوته ﷺ، فإن أتباع المبطلين ـ الذين يدعون النبوة مجرد ادعاء وهم في الحقيقة غير ذلك ـ لا تكون لهم الكرامات ولا تنخرق لهم العادات، فإنّ انخراق العادات لبعض من صدق السير على منهجه ﷺ من أصحابه

(١) أخرج القصة أحمد : فضائل الصحابة ٢/ ٢٧٠، والبيهقي : دلائل النبوة ٦/ ٣٧٠، وحسن إسنادها ابن حجر في الإصابة ٢/ ٢-٣

(٢)، (٣) انظر البخاري كتاب مناقب الأنصار ٤/ ٢٢٨، وكتاب الصلاة ١/ ١١٩.

(٤) انظر صحيح مسلم كتاب المساقاة ٣/ ١٢٣٠.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٠٦، وقال : صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

ومن جاء بعدهم من أمة الإسلام ليعتبر من أقوى الأدلة على صدق نبوته ﷺ. وما ذكرناه من هذه الكرامات ما هو إلاّ غيض من فيض إذ المقام لا يتسع لذكر أكثر من ذلك.

سابعاً : بشارات الكتب السابقة به ﷺ

أثناء الحديث عن بشارات الكتب السابقة بمحمد ﷺ لا بدّ من الإشارة إلى بعض الأدلة التي تفيد أن محمداً ﷺ قد بشر به في كتب أهل الكتاب. فمن هذه الأدلة :

١ — إشارة القرآن الكريم إلى ما جاء في كتبهم من البشارة به عليه الصلاة والسلام.

فقد أخبر سبحانه في مواضع من كتابه ـ الذي ثبت بالدليل أنه من عند الله تعالى ـ أن الأنبياء السابقين بشروا بمجيئه ﷺ ذاكرين لأممهم اسمه وصفاته، وصفات أصحابه، كما أخبرنا أنّ أهل الكتاب يعلمون ذلك حق العلم، وأخبرنا أيضاً أنه سبحانه قد أخذ الميثاق من الأنبياء جميعاً على الإيمان به.

قال تعالى حاكياً بشارة عيسى عليه الصلاة والسلام بمحمد ﷺ :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ . . . ﴾ (١).

وقال سبحانه مبيناً صفاته وصفات أصحابه كما وردت في كتبهم : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ . . . ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

---

(١) الصف : آية ٦.

(٢) الأعراف : آية ١٥٧.

ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (١).

وأكد سبحانه معرفة أهل الكتاب به معرفة لا يشوبها شبهة أو شك بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢).

ومما تجدر الإشارة إليه أن محمداً ﷺ كان أرجح الناس عقلاً باعتراف أعدائه وأصدقائه وكان يعلن على الملأ أنه مذكور في كتبهم، وبأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم. فلو لم يكن رسولاً نبياً وعنده من الأدلة الدامغة على وجود اسمه وصفته... في كتبهم لما أخبر بذلك ـ مرة بعد مرة ـ موافقيه ومخالفيه وأولياءه وأعداءه فإن هذا لا يفعله إلا من هو أقل الناس عقلاً فكيف ومحمد ﷺ أعقل الناس بشهادة العدو والصديق ؟ (٣).

٢ ــ إيمان بعض علماء أهل الكتاب بمحمد ﷺ.

فقدآمن به عبدالله بن سلام (٤) رضي الله عنه الذي اعترف له اليهود أنفسهم بفضله ومكانته وعلمه.

وآمن أيضاً برسالته النجاشي الذي كان على علم كبير بدين النصرانية.

كما أن ورقة بن نوفل تمنى أن يكون حياً حين إخراج قريش لمحمد ﷺ لينصره النصر المؤزر، وبشره بأنه نبي هذه الأمة بعد ما قص عليه رسول الله ﷺ ما رآه في حراء. ومعلوم أن ورقة بن نوفل كان قد تنصر في الجاهلية وهو على علم جم بديانة أهل الكتاب (٥).

---

(١) الفتح : آية ٢٩.

(٢) البقرة : آية ١٤٦.

(٣) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ٣ : ٢٩٢، الملكاوي : بشرية المسيح ونبوة محمد (تحت الطبع) ص ٥١٩.

(٤) انظر قصة إسلام عبدالله بن سلام في البخاري كتاب أحاديث الأنبياء ٤/ ١٠٢.

(٥) وانظر قصة ورقة في البخاري كتاب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ٣.

وهؤلاء جميعاً كانوا يعلمون أن نبياً سيأتي في آخر الزمان من ولد إسماعيل لورود ذلك في كتبهم فلما أن أظهر الرسول ﷺ حتى نظروا في أوصافه وتأملوها فعلموا أن تلك الأوصاف الواردة في كتبهم تنطبق تمام الانطباق عليه ﷺ.

٣ — عدم تحذير الأنبياء السابقين منه.

لا شك أن الأنبياء السابقين حذروا أممهم من الفتن حتى يأخذوا حذرهم فلا يقعوا فيها. ومعلوم أن ظهوره ﷺ وإبطاله جميع الشرائع السابقة عند أهل الكتاب، وتصحيح تصوراتهم الاعتقادية، وقتالهم، واتهامهم بالتحريف لكتبهم وتكفيره لهم، ومحاربته لطواغيت الأرض وكسر شوكتهم ونشر دينه في ممالكهم ليعدّ أكبر حدث في العالم. فلو لم يكن رسولاً نبياً فلم لم يحذّر منه أنبياء بني إسرائيل أممهم كما حذروا من الفتن الأخرى كفتنة الدجال مع أن مكث الدجال في الأرض يكون لفترة قصير، ودين محمد ﷺ لا يزال قائما منذ أربعة عشر قرناً.

ولو كان في كتبهم أدنى تحذير منه، أو ذكر له بالذم لكان ذلك من أعظم ما يحتجون به عليه في حياته وعلى أمته بعد مماته. ولما لم يقل أحد إن في كتبهم التحذير منه أو الذم له ـ مع أن فيها التنبيه والتحذير على أقل من ذلك بكثير ـ علم أنه رسول صادق [(١)].

٤ — النصوص الموجودة في كتبهم تبشر به ﷺ.

من المعلوم أن كتب أهل الكتاب قد لحقها التغيير والتبديل ومع هذ نجد البشارة بمحمد ﷺ في كتبهم حيث جاء فيها ذكر أوصافه، وجميل سيرته، وبلده، وصفة أصحابه، وصلاح أمته وأنه من ولد إسماعيل... إلى غير ذلك مما جاء في كتبهم الموجودة بين أيديهم الآن.

---

(١) انظر ابن تيمية: الجواب الصحيح ٣: ٢٩٧، الملكاوي: بشرية المسيح ونبوة محمد (تحت الطبع) ص ٥١٩ ـ ٥٢٠.

وقد استخرج علماء المسلمين تلك البشارات الواردة في كتب العهدين القديم والجديد وتناولوها بالتحليل والمناقشة وبينوا بما لا يدع مجالاً للشك أنها لا تنطبق إلاّ على محمد ﷺ (١).

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتب أهل الكتاب لو سلمت من التحريف والضياع (٢) لظهرت هذه البشارات جلية واضحة لكل قارىء لكتب العهدين من علماء وغيرهم.

وأخيراً بعد هذا العرض لدلائل النبوة يتضح ـ دون أدنى شك ـ أن محمداً ﷺ قد حاز من الآيات والبراهين الدالة على صدق نبوته ما لم يحزه غيره من الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا ما دفع بعض العلماء المنصفين إلى الاعتراف برسالته ﷺ.

انتهى بحمد الله وتوفيقه.

---

(١) انظر: الخزرجي: مقامع الصلبان ١١٩ ـ ١٣٨، ١٧٩ ـ ١٨٣، والقرطبي: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ٢٦٣ ـ ٢٨٠، والقرافي: الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة ١٦٣ وما بعدها، وابن تيمية: الجواب الصحيح ٣: ٣٠٠ وما بعدها، ابن القيم: هداية الحيارى ص ١٠٩ وما بعدها، الهندي: إظهار الحق: ٥١٩ وما بعدها، الطهطاوي: محمد نبي الله في التوراة والإنجيل والقرآن ص ١٣، وما بعدها.

(٢) وقد اعترفوا بذلك (أي بضياع جزء منها). انظر الهندي: إظهار الحق ٢٨٠ وما بعدها.